هدية مجلة التوحيد

توحيد الأسماء والصفات

فضيلة الدكتور
محمد خليل هراس
أستاذ العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر

قدم له
فضيلة الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام لأنصار السنة المحمدية

Upload by : altawhedmag.com

«علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com

توحيد
الأسماء والصفات

الشيخ الدكتور
محمد خليل هراس

قدم له
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم الشيخ أحمد يوسف

الرئيس العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعدُ:

فإن توحيد الله تعالى هو سفينة النجاة، وبه ومعه يدرك العبد سعادة الدارين. ولما أدرك الشيطان ذلك عمل على إغواء العباد وإيقاعهم فيما يَنقضه، وهو الشرك، فأوقع الكثير في شباكه عن طريق الغلو في حُبّ الصالحين.

وكان الدكتور محمد خليل هراس قد تخرَّج في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، وجمع كتب ابن تيمية لنقضها والرد عليها؛ فشاء الله تعالى أن تكون رسالته الدكتوراه «ابن تيمية السلفي».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أفهم الإسلام إلا بعد دراسة هذه الكتب، ومن يومها صار من أبرز أعلام دعوة التوحيد، وقد عمل رَحِمَهُ اللَّهُ أستاذًا بقسم العقيدة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر».

Upload by : altawhedmag.com

وإليك - أيها القارئ الكريم - ما كتبه الشيخ الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ عن توحيد الأسماء والصفات، سائلين الله ﷻ أن يغفر له ويرحمه وأن ينفع بعلمه.

كتبه/ أحمد يوسف عبد المجيد

الرئيس العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر

جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ

Upload by : altawhedmag.com

توحيد الأسماء والصفات

يقوم هذا النوع من التوحيد على أُسُس ثلاثة:

الأول: أن أسماء الله ﷻ وصفاته كلها توقيفية، لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو النفي إلا بإذن من الشرع؛ فلا نُثْبِت لله سبحانه من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ. ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات، إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ.

وما لم يُصرِّح الشرع بإثباته ولا بنفيه يجب التوقف فيه حتى يُعْلَم ما يُرَاد به، فإن أريد به معنى صحيح موافق لما جاء به النص قُبِلَ، وإلا وجب ردّه.

الأصل في ذلك أن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، وبما يجب له أو يمتنع أو يجوز عليه، لا سبيل إلى إدراكها بالعقل وحده؛ لأنها من شؤون الغيب التي لا تدخل في نطاق قدرته، وإنما كل وظيفة العقل في ذلك أن يفهم ما تضمنته النصوص من معاني أسماء الرب وصفاته.

Upload by : altawhedmag.com

وإذا كان معلومًا أن الله ﷻ أعلم بنفسه من خلقه وأصدق قيلًا وأهدى سبيلًا، وأن رسوله المُبلِّغ عنه أعلم به كذلك، وبما يجب له ويمتنع عليه من كل أحد، وهو أقدر الناس على بيان ذلك وأحرصهم على هداية الخلق إليه؛ فلا يجوز التعويل إذًا في هذا الباب على غير الكتاب والسنة وحدهما. فإن الله ﷻ لم يَكِلنا في معرفة شيء من أسمائه وصفاته إلى شيء وراء ما دل عليه ظاهر الكتاب والسنة. فمن عوَّل في شيء من ذلك على قضية عقل أو استحسان برأي أو دعوى إلهام أو كشف أو غير ذلك؛ فقد قال على الله بغير علم وضلَّ عن سواء السبيل.

الأساس الثاني: إن الله ﷻ في كلّ ما ثبت له من الأسماء والصفات لا يُماثِل شيئًا من خلقه ولا يماثله شيء، بل كل ما ثبت له من صفات الكمال التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة؛ فهو مختصّ به لا يشركه فيه أحد من خلقه.

وليس معنى هذا أن ما يُطلَق على الرب أو على صفاته من أسماء لا يسمى به غيره فقد يكون الاسم مشتركًا بينه وبين غيره أو بين صفته وصفة غيره، ولكن هذا الاشتراك في الاسم لا

Upload by : altawhedmag.com

يوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء.

فتسميته تعالى عالمًا، وتسمية العبد عالمًا لا يُوجب مماثلة علم الله لعلم العبد. وكذا تسميته تعالى مريدًا وحيًّا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا إلى غير ذلك من الأسماء التي قد تُطلَق على المخلوقين لا يُوجب أن تكون إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته... إلخ.

والأصل في ذلك أن ما يُوصَف الله ﷻ به، ويُوصَف به العباد، إنما يوصف الله به على ما يليق به، ويُوصَف به العباد على ما يليق بهم. فالاشتراك إنما هو في مفهوم الاسم الكلي، وذلك إذا أخذ الاسم مطلقًا غير مضاف، فإذا أضيف صار مختصًّا لا يقبل الشركة.

فإذا قيل: علم الله وقدرة الله وإرادة الله، ونحو ذلك؛ كان المراد صفته الخاصة به التي لا يشاركه فيها المخلوق.

وإذا قيل: علم العبد وقدرته وإرادته ونحو ذلك، كان المراد صفته الخاصة به التي يتنزه عنها الخالق -جل شأنه-.

وإذا فُهم هذا الأساس الثاني على هذا الوجه البيِّن لم يكن

Upload by : altawhedmag.com

هناك موجب أصلًا لنفي بعض الصفات الثابتة بالكتاب والسنة؛ بحجة أن إثباتها يُوهم المماثلة بين الله وبين خلقه؛ وذلك لأنها إن أُطلقت على الله ﷻ حُمِلَت على ما يليق به مما لا يماثل صفة المخلوق، وإذا أُطلقت على المخلوق حُملت على ما يليق به مما لا يماثل صفة الخالق، وحينئذ لا نحتاج إلى التعسُّف في تأويل هذه النصوص وصرفها عن معانيها المتبادرة منها، لا سيما وأن هذه النصوص في الكتاب والسنة من الكثرة والصراحة بحيث لا يمكن تأويلها إلا إذا اعتبرنا الشرع كله أحاجي وألغازًا لا يدل لفظ منه على معناه، وهذا اتهام للشرع بأن خطابه غير مُفْهِم ولا مُبيِّن، ولا دالّ على الحق الذي يجب اعتقاده، ولهذا تجد الذين عمدوا إلى تأويل هذه النصوص بحجة إيهامها التشبيه لم يتفقوا على تأويل واحد، بل ذهب كل فريق منهم فيها مذهبًا يلائم أصول نِحْلته، فالفلسفي له فيها تأويل، والمعتزلي له تأويل، والأشعري المُعطِّل له فيها كذلك تأويل.

فهل يُعقل أن تُوصف هذه التأويلات مع اختلافها وتناقضها بأنها الحق الذي أراد الله منا أن نعتقده من هذه النصوص؟ كلا،

Upload by : altawhedmag.com

بل الأقرب إلى الفطرة والعقل والمنطق أن يُفْهَم من هذه النصوص معانيها التي دلَّت عليها بمقتضى الوضع اللغوي لهذه الألفاظ، ثم يُنفَى الكيفية والتشبيه عنها.

فإذا كان الله قد وَصَف نفسه مثلًا بالاستواء على العرش، وبالمجيء يوم القيامة، وبأن له وجهًا ويدين وعينين، وبأنه يحب ويرضى، ويكره ويسخط، ويرحم ويغضب. وإذا كان قد وصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى السماء الدنيا، ويدنو من الحجاج عشية عرفة، وبأنه يضحك ويعجب... إلخ ما جاءت به النصوص الصحيحة من صفات الذات وصفات الفعل؛ فيجب أن يُحمَل ذلك كله على حقيقته دون أن يُفْهَم منه التماثل بين الله وبين خلقه في شيء من هذه الصفات، فإن حقائقها بالنسبة لله ﷻ غير حقائقها بالنسبة للمخلوقين، فاستواؤه ليس كاستوائهم، ولا مجيئه كمجيئهم، ولا يده كيدهم، ولا حبّه ورضاه كحبهم ورضاهم، فإن الاشتراك في الأسماء لا يقتضي تماثل المسميات.

الأساس الثالث: إن صفات الله سبحانه صفات كمال كلها، فهو موصوف بصفات الكمال التي لا غاية وراءها، بريء من

Upload by : altawhedmag.com

سمات النقص والاحتياج والحدوث، والواجب أن يثبت له - سبحانه- أقصى ما يمكن من الأكملية؛ بحيث لا يكون هناك كمال عارٍ عن النقص إلا وهو ثابت له يستحقّه بكمال ذاته، ويتنزّه عن الاتصاف بضده.

وضابط ذلك أن كلّ كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق كان الخالق أولى به، وكل نقص تنزَّه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه، ولكن ينبغي أن يعلم أن الكمال لا يكون إلا أمرًا وجوديًّا، أما الأمور السلبية أو العدمية فلا تكون كمالًا إلا إذا تضمنت أمورًا وجودية، فإن العدم المحض ليس بشيء أصلًا. فضلًا عن أن يكون كمالًا، ولهذا لم يرد في الكتاب ولا ففي السنة صفة سلب، إلا وهي متضمنة إثبات ما يضادها من الكمال.

فنفي العجز مثلًا في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، متضمن لإثبات كمال قدرته.

ونفي السنة والنوم في قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾

Upload by : altawhedmag.com

[البقرة: ٢٥٥]. لإثبات كمال حياته وقيوميته: ونفي الشريك والنِّدّ والصاحبة والولد لإثبات كمال غناه وعظمته.

والمتتبع لصفات النفي التي وردت في الكتاب والسنة يجدها مُجْمَلة في أغلب أحوالها لا يُقْصَد بها إلا نفي المِثْل والشبيه عنه سبحانه. كقوله من سورة مريم عليها السلام: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: مساميًا يساميه أو نظيرًا يستحق مثل اسمه: وكقوله من سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وكقوله في سورة الإخلاص: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

وأما صفات الإثبات فإنها تَرِد على سبيل التفصيل؛ لأنها مقصودة لذاتها، ومن هنا كان الواجب أن نقتصر من صفات السلب على ما ورد في الكتاب والسنة، ولا نتوسع فيها بحجة المبالغة في التنزيه كما فعل الجهمية من الفلاسفة والمعتزلة ومتأخري الأشعرية؛ فإن هذا التوسع في صفات النفي قد يُفْضِي إلى نَفْي الواجب نفسه -جل وعلا-؛ حيث لا يُعقَل وجود ذات تتصف بكل هذا السلوب التي يقررها هؤلاء في كتبهم من أنه

Upload by : altawhedmag.com

تعالى ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا كمّ له ولا كَيْف ولا أين، ولا مقدار ولا صورة ولا يشار إليه، ولا يجوز عليه الاتصال والانفصال والقرب والبعد. ولا هو في جهة ولا مكان، وليس بذي حجة ولا نهاية، ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل من عنده شيء ولا يقبل الحركة والسكون والمجيء والإتيان، والصعود والنزول، إلى غير ذلك مما سموه تنزيهات، وهو في واقع الأمر ليس إلا تعطيلًا للذات، وجحدًا لوجودها الحق؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

***

Upload by : altawhedmag.com

صفات الذات وصفات الأفعال

يُراد بصفة الذات ما تكون لازمة الذات أزلًا وأبدًا لا يتصور انفكاكها عنها. وذلك كصفة الحياة والقدرة والعلم والعزة والعظمة والكبرياء والجلال إلخ، ويُراد بصفة الفعل ما يُحْدِثه سبحانه في ذاته بمشيئته وقدرته من أفعال على وفق عِلْمه وحكمته كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والحب والرضى والكراهة والمقت والنزول والاستواء والقول والتكليم والمجيء والإتيان... إلخ، فمن الناس -وهم الأشعرية- مَن لم يثبت إلا صفات أزلية لازمة لذاته، وحددوها بسبع صفات؛ وهي: العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، ونفوا صفات الفعل الاختيارية؛ فمنها ما جعلوه تعلقات للقدرة كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، ونحوها من الأفعال الممكنة، وزعموا أن الفعل فيها عين المفعول، ومنها ما جعلوه تعلقات للإرادة مثل المحبة والرضى والغضب والكراهية، ونحوها.

والذي حملهم على نفي هذه الصفات اعتقادهم أن القديم لا

Upload by : altawhedmag.com

يكون محلًا للحوادث؛ لأن ذلك يُفْضِي في زعمهم إلى حدوث القديم، ولم يُفرِّقوا بين جنس الحوادث وأشخاصها، ولا بين حادث يُحْدِثه هو في ذاته بمشيئته وقدرته وبين حادث يُحْدثه فيه غيره؛ فلزمهم نَفْي ما لا يُحْصَى من صفات الفعل التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة؛ من كونه سبحانه يتكلم متى شاء، ويحب ويرضى عن المؤمنين بعد إيمانهم، ويبغض ويسخط على الكافرين بعد كفرهم، وأنه إذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عبادة، ومن كونه يجيء يوم القيامة، وينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ويدنو من الحجاج عشية عرفة، ويعجب من قنوط عباده وقرب خيره، ويضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة... إلخ.

والذي كان عليه سلف هذه الأمة إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسُّنة من الصفات، لا فَرْق بين صفة الذات وصفة الفعل، ولا فرق بين ما كان من الأفعال متعلقًا بالذات كالاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول... إلخ، أو ما كان متعديًا إلى غيره كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير المختلفة.

Upload by : altawhedmag.com

الأدلة على ثبوت الصفات

ولعل من المفيد هنا أن نُلخِّص الحُجَج التي يتمسك بها أهل الإثبات من أتباع مذهب السلف رضي الله عنهم، ويردون بها على المُعطِّلة والمُؤولة.

(١) **أُولى هذه الحجج وأقواها**: أن نصوص الكتاب والسنة كلها متضافرة على الإثبات، ولم يرد فيهما نص واحد يدل على النفي؛ يَعرف ذلك كلّ مَن له إلمام بتلك النصوص المتعلقة بالصفات.

فلو كان ما يقوله النفاة لتلك الصفات هو الحق، وكان الإثبات مستلزمًا للمُحَال، فكيف لم يقل الله ولا رسوله يومًا من الدهر في مدى ثلاث وعشرين سنة كان ينزل فيها الوحي: يا أيها الناس، لا تعتقدوا ظاهر ما دلت عليه هذه الآيات والأحاديث؛ فإن ظواهرها مستحيلة على الله، وإن لها معاني أُخَر غير ما يُفْهَم منها. كيف يجوز على الله -سبحانه-، ثم على رسوله ﷺ أن يكون كلامهما دائمًا بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق. ثم

Upload by : altawhedmag.com

الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط لا نصًّا ولا ظاهرًا؟

(٢) **والحجة الثانية، وهي لا تقل قوةً عن سابقتها**: أن القرون الثلاثة الأولى التي هي خير قرون هذه الأمة، بشهادة رسول الله ﷺ، قد مضت وكلام السلف كله في الإثبات بلا تأويل، فلم يرد عن واحد منهم ما يدل لا نصًّا ولا ظاهرًا على أنه أَوَّلَ آية من آيات الصفات، أو قال: إن ظاهر معناها مستحيل على الله.

ولا شك أن هؤلاء السلف هم أكمل الأمة علمًا وإيمانًا وإجماعهم حجة قاطعة فإنهم لا يجتمعون على ضلالة، وإذا اختلفوا فالحق لا يخرج عنهم.

فلو كان ما يقوله هؤلاء النفاة هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده فكيف يسع هؤلاء الفضلاء مِن سلف هذه الأمة السكوت عنه وعدم بيانه للناس؟ إن ذلك لا يكون إلا لواحد من أمرين:

١) إما أنهم كانوا يجهلون الحق الذي يجب اعتقاده في الله - تعالى- وحاشاهم؛ فهم أعلم هذه الأُمَّة بربها، وبما يجب له ويمتنع عليه، وقد مدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم بالعلم

Upload by : altawhedmag.com

والمعرفة، وأخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه.

وإما أن يكونوا علموا الحق ولكنهم كتموه ولم يُبيّنوه زجرًا للعامة عن الخوض في التأويلات، وحاشاهم أيضًا أن يسكتوا على باطل أو يُقِرّوا أحدًا على اعتقاده.

فلو كان إثبات هذه الصفات الخبرية باطلًا، وكان تأويلها بما أوّلها به الخلف واجبًا؛ لما وسع سلف هذه الأمة جَهْله أو السكوت عنه؛ فسكوتهم عن التأويل وتضافر كلامهم على الإثبات أعظم دليل على أن الحق هو إثباتها بلا تأويل، وأن التأويل هو عين التعطيل.

***

Upload by : altawhedmag.com

شُبَه النُّفاة للصفات والرد عليها

يلجأ النفاة لصفات الله ﷻ إلى بعض الحجج التي يدعمون بها مذاهبهم في النفي، ونحن نذكر هنا أقوى حُجَجهم ونَرُدّ عليها.

(١) قالوا: إن الدليل العقلي دلَّ على استحالة تلك الظواهر، فلو اعتقدناها كان ذلك مكابرة للعقل، وإن أنكرناها كان ذلك تكذيبًا بالشرع؛ فوجب إزالة للتعارض تأويلها بما يوافق حكم العقل. وما دامت اللغة العربية قد وردت بالحقيقة والمجاز. واستحال حمل هذه الظواهر على معانيها الحقيقية عند العقل وجب صرفها إلى معانٍ أُخَر بطريق المجاز.

والجواب: أن دعوى حكم العقل باستحالة هذه الظواهر إنما بنوه على استلزامها للمماثلة؛ لأنهم لا يفهمون من هذه الظواهر عند إطلاقها على الله ﷻ إلا ما يُفْهَم منها عند إطلاقها على المخلوق، وقد بيَّنَّا خطأ ذلك. فإن ظاهر لفظ اليد مثلًا إذا أُضيف إلى الله يُفْهَم منه معنًى غير ما يُفْهَم منه إذا أُضيف إلى غيره،

Upload by : altawhedmag.com

وكذلك لفظ العين والوجه والاستواء والنزول، وغيرها.

ولكن هؤلاء لما جعلوا اللفظ حقيقة في صفة المخلوق، ولا يُفْهَم منه عند الإطلاق غيرها، أوجبوا تأويله وصرفه عن هذه الحقيقة عند إطلاقه على الله، وقد قدَّمنا أن لكل لفظ من هذه الألفاظ معنًى كليًّا هو حقيقته التي يدل عليها عند الإطلاق، وأن هذه الحقيقة تحتها أفراد وخصوصيات، فإذا أُضيف اللفظ تعين مسمَّاه، وكان دالًّا بالحقيقة على واحدة من هذه الخصوصيات فيقال يد زيد مثلًا ويد الدابة ويد الإبريق ويد الله... إلخ، فيكون اللفظ في كلّ منها دالًّا على معنًى خاصّ هو صفة للمضاف إليه.

على أن دعوى المجاز لا يمكن أن تُسمع، فإن اللفظ المستعمَل في معنى بطريق الحقيقة لا يجوز صرفه عن معناه إلى معنًى آخر بطريق المجاز إلا إذا اجتمع له أربعة أشياء:

١ - الأول أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يصح أن يُراد من اللفظ بأن يكون اللفظ مستعملًا فيه في لغة العرب، وإلا لأمكن لكل أحد أن يُفسِّر أيّ لفظ بأيّ معنى، وإن لم يكن له أصل في اللغة.

Upload by : altawhedmag.com

٢- الثاني أن يكون مع اللفظ قرينة سمعية أو عقلية تُوجب صَرْفه عن حقيقته إلى مجازه.

٣- الثالث أن لا يكون هناك مُعارِض لتلك القرينة يَقتضي إرادة الحقيقة وإلا وجب إرادتها مع اللفظ وامتنع تركها.

٤- الرابع أن المتكلم بكلام يريد به خوف ظاهره، لابد أن يبين ذلك، لا سيما في الخطابات العلمية التي يراد بها الاعتقاد، ويتأكد ذلك إذا كان المتكلم هو أفصح الخلق وأقدرهم على البيان، وأحرصهم على إفادة الحق والنصح للخلق، لا يجوز أبدًا أن يُلقي القول على عَواهنه دون أن يُبيّن للناس ما عناه به، وإلا كان ذلك قصورًا في البيان يجب أن يتنزه عنه أفصح الكلام[1].

وأيضًا فإن هؤلاء الذين يحكمون باستحالة هذه الظواهر عند العقل ليس لديهم قانون ثابت لما يُحيله العقل أو يُجوّزه. لهذا تراهم في أمر مريب، فهذا يحيل ما يجوزه الآخر أو يوجبه، وذاك يوجب ما يحيله الآخر أو يجوزه.

(١) ومن أراد التوسع في إبطال المجاز في القرآن والحديث فليرجع إلى كتاب ابن القيم «الصواعق المرسلة»، وقد نشرته دار الكتب العلمية، بيروت.

Upload by : altawhedmag.com

ولنضرب مثلًا لذلك مسألة الرؤية، فإن المعتزلة الذين أنكروها يزعمون أن العقل يحيل رؤية بلا جهة، وأنهم مضطرون إلى تأويل النصوص الواردة بإثباتها، بينما يخالفهم خصومهم من الأشعرية في تلك الاستحالة العقلية ويقولون إن الرؤية لا تستلزم الجهة فيمكن أن تقع بدونها.

فبأي عقل إذًا يمكن أن تُوزَن نصوص الكتاب والسنة والعقول كما ترى مختلفة متناقضة؟

***

Upload by : altawhedmag.com

الآيات والأحاديث في توحيد الأسماء والصفات

لا يمكن إحصاء الآيات الواردة في هذا النوع من التوحيد؛ لأنها من الكثرة بحيث يصعب استيعابها، ولكنا نذكر بعضها هنا على سبيل المثال.

يقول الله ﷻ في أعظم آية في كتابه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فقد تضمنت هذه الآية العظيمة جملةً كبيرة من الصفات في النفي والإثبات، فأخبرت عن تفرُّده سبحانه بالإلهية واستحقاق العبادة، وأنه الحيّ بالحياة الذاتية الكاملة التي لا يطرأ عليها ما يضادها من عدم أو موت، وأنه القائم بنفسه المستغني عن جميع خلقه مع قيامه بتدبير أمورهم بحيث لا يغفل عنهم لحظة ولا

Upload by : altawhedmag.com

غِنَى لهم عنه طرفة عين، وأنه المالك الذي لا يخرج شيء في السموات ولا في الأرض عن ملكه وقهره. وأن أحدًا لا يجرؤ أن يشفع عنده إلا بإذنه، وأن علمه محيط بجميع الأمور الماضية والمستقبلة على حين لا يعلم خلقه من ذلك إلا ما شاء أن يعلمهم إياه. وأنه بلغ من سعة الملك وعظمة السلطان أن كرسيه الذي هو موضع قدميه وسع في جوفه السموات والأرض جميعًا، وأن هذا الملك الواسع العظيم لا يكرثه ولا يثقل عليه حفظه وتدبيره، وأنه العلي المتصف بكل معاني العلو، علو الذات، فهو مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه، وعلوّ القهر، فهو القاهر فوق عباده، وعلوّ القدر، فهو العظيم الذي لا حدّ لعظمته.

ويقول سبحانه في أول سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي

Upload by : altawhedmag.com

﴿ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآيات: ١-٦].

وهنا وصف نفسه أيضًا بالوحدة في الإلهية وبالحياة والقيومية وبإنزال الكتب السماوية من القرآن والتوراة والإنجيل فضلًا منه ورحمة لهداية الناس وفرقانًا بين الحق والباطل.

ثم وصف نفسه بالعزة وهي القهر والغلبة لمن عصاه وبأنه ذو انتقام ممن خالفه وكذّب رسله، وبأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه المصوّر للأجنة في أرحام الأمهات في الصور التي يشاء من ذكورة وأنوثة وبياض أو سواد وجمال أو قباحة... إلخ، وأنه الإله الواحد الموصوف بتمام العزة وكمال الحكمة.

ويقول - جل شأنه- في آخر سورة بني إسرائيل ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، وفي هذه الآية التي كانت تسمّى آية العز؛ يَحْمد سبحانه نفسه على تنزُّهه عن النقائص. فهو لم يتّخذ ولدًا لكمال غناه وعدم حاجته إليه، وليس له شريك

Upload by : altawhedmag.com

في المُلك يُنازعه السلطان أن يكون ظهيرًا له في التدبير، وليس له كذلك ولي من ذل أو حاجة، بل هو الله العلي الكبير.

ويقول في أول سورة طه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١-٨].

وفي هذه الآيات يخاطب الله رسوله ﷺ بأنه ما أنزل عليه القرآن العظيم ليشقى ويُتعب نفسه بطول القيام به، أو بالحرص على هداية قومه به، وإنما أنزله ليُذَكِّر به أهل الخشية الذين ينتفعون بما فيه من هداية، ثم أخبر أن هذا القرآن إنما هو تنزيل من رب العالمين الذي خلق السموات والأرض جميعًا ثم استوى على عرشه لتدبير أمور خلقه، وأن كل ما في السموات والأرض له وحده ملكًا وخلقًا وعبيدًا، وأنه يستوي عنده السر

Upload by : altawhedmag.com

والجهر، فإن علمه نافذ يصل إلى كل خفي، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، وأنه سبحانه الواحد في إلهيته الذي له الأسماء الحسنى الدالة على صفات كماله.

ويقول في أول سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: ١-٦].

فانظر كيف تبتدئ السورة بالإخبار عن تسبيح الأشياء كلها بحمده سبحانه وأنه العزيز الغالب الذي يَقْهَر ولا يُقْهَر، والحكيم في خلقه وأمره المُنَزّه عن العبث والباطل، وأن له الملك التام في السموات والأرض يتصرف فيه بقدرته التي لا

Upload by : altawhedmag.com

يُعجزها شيء إحياءً وإماتة وإيجادًا وإعدامًا، وأنه الأول الذي لا شيء قبله والآخر الذي لا شيء بعده، والظاهر الذي لا شيء فوقه، والباطن الذي لا شيء دونه، وأنه مع ظهوره وعلوه لا يخفى عليه شيء من خلقه، وأنه هو وحده الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم علا وارتفع على عرشه، وهو مع ذلك يعلم ما يدخل في جوف الأرض من مياه وحبّ وكنوز ومعادن، وما يخرج منها كذلك، ويعلم ما ينزل من السماء من أمطار وصواعق وملائكة، وما يعرج أي يصعد فيها من أعمال ملائكة وأرواح... إلخ.

وهو كذلك مع علوّه وارتفاعه على عرشه مع خلقه أينما كانوا فهو يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم، وهو مُحيط بهم علمًا وقدرة، فصار كأنه معهم كما قال تعالى لموسى وهارون -عليهما السلام-، إنني معكما أسمع وأرى.

ويقول في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ

Upload by : altawhedmag.com

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

وفي هذه الآيات كذلك يصف نفسه سبحانه بأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وبأنه عالم بكل ما غاب وما حضر، فلا يعزب عن علمه شيء، وبأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، وبأنه الملك الذي لا مُنازع له في ملكه، وبأنه القدوس المُبَرَّأ عن كل شائبة نقص وسوء، وبأنه السلام الذي سلم من جميع الآفات والعيوب أو الذي يسلم على عباده في الجنة، وبأنه المؤمن الذي يُصدّق رسله بالآيات، أو الذي يُؤمِّن عباده المؤمنين من عذابه، وبأنه المهيمن الرقيب على خلقه، وبأنه العزيز الممتنع على كل مَن أراده، والغالب لكل مَن عاداه وكذَّب رسله، وبأنه الجبار الذي يجبر خلقه على ما يشاء، أو يجبر كسرهم بإصلاح شؤونهم، وبأنه المُتكبّر الذي تكبُّره بحقّ؛ لأن كل مَن دونه حقير إذا أضيف إليه، وبأنه الخالق المُقدِّر للأشياء،

Upload by : altawhedmag.com

وبأنه البارئ المُبْرِز لها من العدم، وبأنه المُصوِّر لها الذي يعطيها شكلها وأوصافها، وبأن الأسماء الحسنى التي لا نقص فيها كلها له، ليس لغيره شركة معه في شيء منها.

ويقول تعالى في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فأخبر عن نفسه بالأحدية المطلقة التي تتناول وحدة الذات والصفات والأفعال، وبأنه الصمد يعني السيد الغني الذي يصمد إليه الخلق ويقصدونه في حوائجهم، ثم نفى عن نفسه الولد؛ لتمام مُلكه وغِناه، فهو لا يحتاج إليه وكذلك نفى أن يكون غيره والدًا له، فيكون أصلًا له سابقًا عليه، ثم نفى أن يكون أحد كفوًا له؛ أيْ: مماثلًا ومشابهًا.

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدًّا نجتزئ منها ما يلي:

١- «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَواتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فالِقَ الحَبِّ والنَّوى، وَمُنْزِلَ التَّوْراةِ

Upload by : altawhedmag.com

والإنْجِيلِ والْفُرْقانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بناصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الباطِنُ فليسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنا مِنَ الفَقْرِ». أخرجه مسلم (٢٧١٣).

٢- «يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيَقولُ: مَن يَدْعُونِي فأَسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له». أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

٣- «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أَحَدِكُمْ إذا اسْتَيْقَظَ على بَعِيرِهِ، قدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فلاةٍ» أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

٤- «عَجِبَ ربُّنا مِن قنوطِ عبادِه وقُرْبِ غِيَرِه؛ ينظرُ إليكم أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يضحكُ، يعلمُ أن فرجَكم قريبٌ». قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٩): حديث حسن.

Upload by : altawhedmag.com

٥- «يَضْحَكُ اللَّهُ إلى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أحَدُهُما الآخَرَ كِلاهُما يَدْخُلُ الجَنَّةَ، فقالوا: كيفَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: يُقاتِلُ هذا في سَبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ فيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ على القاتِلِ، فيُسْلِمُ، فيُقاتِلُ في سَبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ فيُسْتَشْهَدُ». أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

٦- قوله ﷺ للجارية: «أيْنَ اللَّهُ؟ قالَتْ: في السَّماءِ، قالَ: مَن أنا؟ قالَتْ: أنْتَ رَسولُ اللَّهِ، قالَ لسيدها: أعْتِقْها، فإنَّها مُؤْمِنَةٌ». صحيح مسلم (٥٣٧).

***

Upload by : altawhedmag.com

الفهرس

الموضوع الصفحة

تقديم الشيخ أحمد يوسف..... ٣
توحيد الأسماء والصفات..... ٥
صفات الذات وصفات الأفعال..... ١٣
الأدلة على ثبوت الصفات..... ١٥
شُبَه النُّفاة للصفات والرد عليها..... ١٨
الآيات والأحاديث في توحيد الأسماء والصفات..... ٢١

***

Upload by : altawhedmag.com

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلا من

١٥٠٠ جنيه

لفترة محدودة

يوجد مجلدات السنوات القديمة
سعر المجلد ٢٥ جنيه
بدلاً من ٥٠ جنيه
حتى عـــام ١٤٣٩ هـ

سعر المجلد الجديد
١٠٠ جنيه

هـــدايا قيمة
لأول ١٠٠ مشترٍ

الآن أصــبحــت 51 مجـلـداً من الموسوعـة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com

جمعية أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين- القرآن الكريم، والسنة الصحيحة- ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره- في أي شأن من شئون الحياة- معتدٍ عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

Upload by : altawhedmag.com